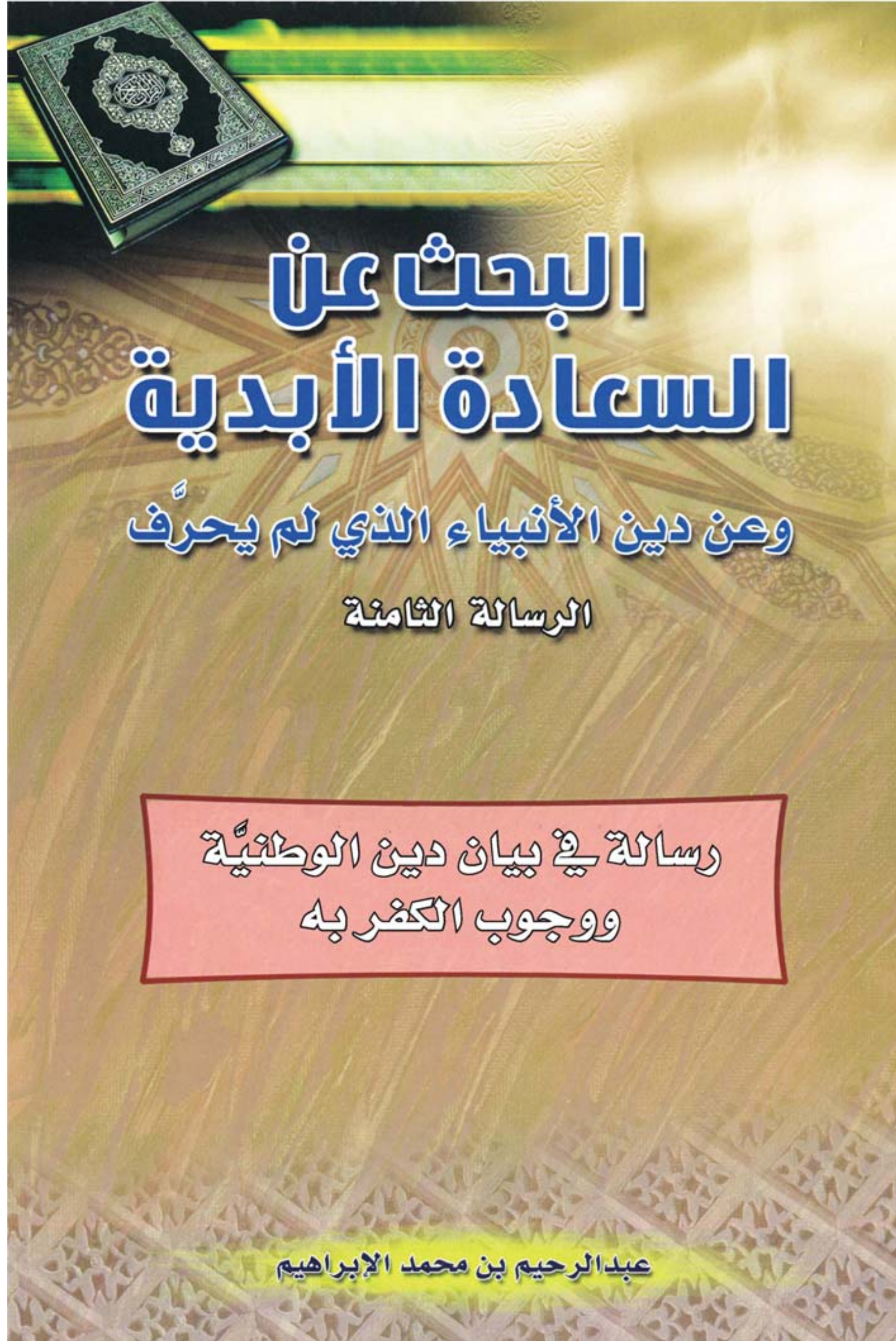

البحث عن
السعادة الأبدية
وعن دين الأنبياء الذي لم يحرَّف
الرسالة الثامنة
رسالة في بيان دين الوطنيَّة
ووجوب الكفر به
عبدالرحيم بن محمد الابراهيم

بيان
مفهوم المحبة والولاء الذي جاء به الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** (١)﴾ (الأنعام) .

وصلى الله على نبينا محمد الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

روى الترمذي في سننه وأحمد عن النبي ﷺ قال : «**إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ، فألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل**» .

وبعد :

لقد كان حقاً على الله عز وجل أن يسلب ما أودعه من نور الهداية عمَّن أعرض عنه سبحانه وعن توحيده وتولى الطواغيت . قال الله تعالى : ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٢٥٧)﴾ (البقرة) .

وكان حقاً عليه - أيضاً بعد ذلك وبسبب ذلك - أن يرسل عليهم الشياطين بعدما ارتضوا ولايتهم من دون الله لتجرهم إلى الهاوية ، بعدما تركوا نهج الهداية ، واستبدلوا هذا النور العظيم بتلك الظلمة وتخبطوا فيها

أعظم تخبط ، وذلك أن من ﴿لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾ (النور) .

وقد تعهد إبليس اللعين ذلك المدحور الرجيم باحتناك ذرية آدم ، وإلى جمعها تحت لوائه ـ الذي نصبه على ظهر هذه الأرض ـ قبل الجمع الآخرة قائماً فيهم خطيباً متبرءاً منهم بقوله : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾ (إبراهيم) .

وقد نصب رايته وبعث سراياه لإغواء البشر وتزيين السبل ، فما من سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه ويحسنه ، وكان من أعظم هذه السبل التي سعى إليها : إبطال الملة التي جاء بها الأنبياء ونزلت بها الكتب ، وهي أعظم غاية خلق الله لأجلها الخلق وبعث بها رسله ، وهو أن يعبد وحده لا يشرك به شيئاً ، وكان من أعظم ما نادت به الرسل لتحقيقه هو إفراده سبحانه بعبودية المحبة . فإن المحبة هي ركن العبادة وقوامها ، وذلك أن العبادة قد قامت على أصلين : أولها : المحبة ، وثانيها : الخضوع . يقول ابن القيم في المدارج : «والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الخضوع»أهـ .

فإذا كانت المحبة هي أصل العبودية ، فإن الشرك في المحبة هو أصل الإشراك بالله ، قال ابن القيم : «وأصل الشرك بالله : الإشراك في المحبة . قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة : ١٦٥)»أهـ .(١)

(١) الجواب الكافي .

وهو شرك الأمم جميعها ـ من أمة نوح عليه السلام إلى زماننا هذا ـ فما من أمة إلا وكان أصل الإشراك عندها ذلك الشيء . ولكن تعددت صورها . فمنهم من غلا في محبة الصالحين ، ومنهم من غلا في محبة التماثيل ، والأوثان ، والصلبان ، والأوطان ، وغير ذلك ، فأصل شرك المحبة هو الغلو في محبة المحبوب .

ولما كانت المحبة عبادة باطنة تضمرها القلوب كان ظهور موجباتها على الجوارح أمر محتم ومطلوب . وذلك باتخاذ ما يرمز لهذا المحبوب .

فالصنم أو التمثال ما هو إلا رمز للمحبوب وهو الرجل الصالح الذي عُبد مع الله .

والصليب هو رمز للمحبوب المصلوب عليها ـ بزعمهم ـ المعبود مع الله .

والعَلَم هو رمز للوطن المحبوب المعبود الذي غلا أهله في محبته .

فالعلم : عُبد بالقيام ، والوطن : عُبد بالمحبة المطلقة .

وكان لابد بعد اتخاذ هذا الرمز من جعل نصيب من العبادة لهذا المحبوب ، وكان لابد بعد ذلك من إقامة الأعياد فرحاً وابتهاجاً بإتمام هذه العبادة وهذا الدين الجديد الذي وضعوه وافتروا به على الله وأضلوا به جبلاً كثيراً . فهي ـ إذاً ـ خطوات ومراحل وشريعة شرعها الشيطان لإضلال متبوعيه يضاهي بها دين الله وشرعه : ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** (٦٠)﴾ (يس) .

فوجب على من ورث الأنبياء بيان ما علمه من دين الأنبياء ، ورد الناس إلى فطرتهم التي اجتالتهم عنها الشياطين حتى لا يكون ممن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .

فصل
في بيان
أن أوثق عُرى الإيمان
الحب في الله والبغض في الله

روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار» .

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ : «**أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**» رواه أحمد .

وهذا هو تمام العبادة وأصلها ، وهو أن يحب العبد المرء لا يحبه إلا لله ، فإن عبودية العبد لربه عز وجل قائمة على أصل المحبة له جل وعلا ، فإنه سبحانه هو المتفرد وحده بالحب المطلق الذي لا حد له ، ولا ند له ، والذي لا يتم إلا بمحبة من أحبه الله ، وبغض من أبغضه الله ، وموالاة من والاه الله ، ومخاصمة ومعاداة من عاداه الله ، فهو يحيا لله ، ويموت من أجله ، فكله لله وفي الله : ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)**﴾ الأنعام) .

والمحبة نوعان : محبة لله ، ومحبة في الله :

فالمحبة التي هي لله : هي تلك المحبة المطلقة العبادية التي يتفرد بها سبحانه عن غيره من الأنداد ، قال تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ (البقرة) .

والمحبة التي في الله : هي تلك المحبة التي هي تبع للمحبة العبادية . وهي محبة أهل الإيمان والإسلام ، وكل من أحبه الله وتولاه .

فهي - إذاً - عُرى الإيمان التي ينجو بتمسكها العبد المؤمن ، وهي ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها : ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)**﴾ (البقرة) .

وهي الفارق بين ملة الحنفاء وملة السفهاء ، فإن ملة إبراهيم تقتضي ولاء أهل الإسلام والبراءة من أهل الشرك ، وبغضهم ، وعداوتهم ، وتكفيرهم ، قال تعالى : ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)**﴾ (الممتحنة) .

وقوله : ﴿**حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ فإن عهد الإيمان والإسلام هو الشرط هنا ، فمن التزم هذا العهد كان له من المحبة والولاء والقرب من أهل الإيمان ما يكون ولو كان أبعد بعيد ، ومن نقض هذا العهد كانت البراءة منه متوجبة ولو كان أقرب قريب . قال تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)**﴾ (التوبة) .

وقد جاءت النصوص متواترة في ترسيخ هذا المعنى العظيم في الدين :

قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)**﴾ (المائدة) .

وقال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ (التوبة) .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤)﴾ (النساء) .

وقال تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ (المجادلة) .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ (التوبة) .

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾ (النساء) .

وبضدها جاءت الآيات تبين حال أهل الكفر وأن بعضهم أولياء بعض ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ (الجاثية) ، وقال : ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)﴾ (الأنعام)

فصل
في بيان دين الوطنية
وما جاءت به الدعوة من الدخول فيه
تحت مسمَّى الوحدة الوطنية

وإذا تقرَّر أن المحبة هي أصل العبادة وقوامها ، فإنها بهذا المفهوم تكون ديناً يدين به العبد لربه عز وجل ، فإذا جاءت محبة أخرى تضاهي هذه المحبة فإنها تكون ديناً أيضاً ، ولكنه دين آخر مغاير لدين الإسلام والتوحيد ـ الذي يكون الحب فيه لله وحده والولاء له عز وجل ـ فهو دين الشيطان ـ إذاً ـ الذي يريد أن يصرف أتباعه عن محبة الله والولاء لإسلام والاجتماع عليه إلى محبة الأوثان والأوطان وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ** (٢٥)﴾ (العنكبوت) .

فكل دعوة يصرف فيها حق الله تعالى لغيره فإن هذه الدعوة وهذه الفكرة تكون ديناً ، والدعوة إليها هي دعوة إلى دين شركي وثني غير الذي جاء به الأنبياء من رب العالمين ، ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (١٦١)﴾ (الأنعام .

وقد جاءت دعوة الوطنية والدخول في مظلتها تحت مسمى «الوحدة الوطنية» بصرف أصل الحب والولاء والانتماء للوطن ، وليس الكلام هنا عن الحنين الفطري والمحبة الفطرية التي جبلت عليها النفوس من ميول الإنسان إلى

موطنه الذي نشأ فيه ، وإنما الكلام في أن يكون الوطن هو المهيمن على تلك المحبة في كونه يعلو ولا يُعلى عليه ، والانتماء إليه يفوق جميع الانتماءات ، والولاء يكون لأجله والمعاداة كذلك ، والقتال من أجله واجب مقدس ، وغير ذلك من هذه المفاهيم . فكيف لا تكون هذه الدعوة بهذا التصور وهذا المفهوم ديناً يضاهي دين الله عز وجل ، فإذا كان أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، فإن أوثق عُرى الكفر الحب في غيره عز وجل والبغض في غيره .

النبي ﷺ يبطل ويهدم صرح الوطنية وينسف هذا الأصل الجاهلي بتركه مكة موطنه وأقدس البقاع إلى الله مهاجراً إلى المدينة

ونجد هذا متجلياً من خلال سيرته ﷺ ومنهجه الذي أقام فيه هذا الدين العظيم . عندما ترك مكة أرضه وسماءه وموطنه ومولده ومنشأه وأقدس البقاع وأحبها إلى الله مهاجراً إلى المدينة مستوطناً لها ، وقد كان أساس تركه لها هو أمر الله له بالهجرة منها ، لا كما يظن البعض بأن ذلك كان بسبب إخراجه منها عنوة ، فإن هذا سبب من الأسباب ، ولكن السبب الحقيقي هو أمر الله له بذلك ، ويدل على هذا ما تقدم أمر الهجرة من البحث عن النصرة والإيواء ، وعرض النبي ﷺ نفسه على القبائل لمقصد إقامة الدين وإقامة دار الإسلام والهجرة إليها ، ومن ثم الجهاد في سبيل الله .

فالحاصل من ذلك أنه ﷺ لما وقف على مشارف مكة وقال ما قاله : «علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» ، وفي رواية : «ما أطيبك من بلد وأحبك إليَّ . . .» .

كان ذلك لأجل ما تميَّزت به هذه الأرض عن غيرها ، فهي أحب البقاع إلى الله ، وهي الأرض المباركة المقدسة ، وفيها بيته عز وجل الذي هو قبلة أهل الإسلام ، وهي التي يشد إليها الرحال ويقصد فيها أداء العبادة والشعائر والمناسك ، وهي حرم الله الآمن ، والبلدة التي حرمها ، وهي التي لا يطؤها الدجال فهي محرمة عليه محفوظة بحفظ الله تعالى لها بملائكته ، وكون النبي ﷺ يُعبِّر عن محبته لها - لا - لذات الأرض وكونها موطنه ومنشأه ، وإنما لأجل ما

تميزت به عن غيرها فكان حبه لها لهذا المقصد ، فإن حبه تبع لحب الله عز وجل لها ، وهذا من صميم الملة أن يحب العبد المرء ، أو الأرض أو غير ذلك ، لا يحبه إلا لله عز وجل ، لذلك قرن النبي ﷺ بين المحبتين ، وبدأ بذكر محبة الله لهذه الأرض قبل محبته هو ، لبيان المقصود من ذلك وهو كونها أرضاً مقدسة يحبها الله لا أنها أرضه وسماؤه .

وأكبر دليل على ذلك أنها لما فتحت وأصبحت دار إسلام نهى النبي ﷺ أصحابه من المهاجرين عن البقاء فيها فوق ثلاث ليال . وما ذلك إلا لأن أمر إقامة الدين واستيطان الأرض التي انطلق منها لإقامة دين الله وحكمه في الأرض أعظم من استيطان أرض مقدسة يحبها الله . فضلاً على أن يستوطنها إن كانت دار إسلام ـ حتى لو لم تكن مقدسة ـ فضلاً أن يستوطنها إن كانت دار كفر . بل المتعيِّن في ذلك هو وجوب الهجرة منها .

فاجتمع ـ إذاً ـ في هذه الأرض ثلاث خصال :

١ ـ كونها أرض مقدسة ، وهي أفضل المقدسات على الإطلاق .

٢ ـ وأنها دار إسلام يحكم فيها بالإسلام . (بعد الفتح) .

٣ ـ وأنها موطنه ﷺ وأرضه وسماؤه .

ومع هذا تركها النبي ﷺ تعظيماً لله وأمره وإقامة دينه في الأرض .

فالمقدس ـ إذاً ـ هو أمر إقامة هذا الدين العظيم الذي تزهق من أجله النفوس ، وتبذل من أجله الأموال ، وتهجر من أجله العشائر والخلاّن والأوطان .

المفترون على الله الكذب والمنتسبون للدين يعطون الصبغة الشرعية لهذه الجاهلية المظلمة ويسوغون للناس الدخول في دين الوطنية تحت شعار «حب الوطن من الإيمان»

يقول الله تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** (١٢٣)﴾ (الأنعام) .

ويقول الله تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** (٥٥)﴾ (الأنعام) .

إن أعظم جريمة يرتكبها الإنسان بحق الله عز وجل هي جريمة الإشراك بالله تعالى ، وأعظمها في ذلك أن يتصدر الإنسان ويتولى أمر إفساد هذا الدين ، فيسوغ للناس الوقوع في الشرك ويزينه لهم بحلية الدين والشرع ، قال تعالى : ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ** (٢٥)﴾ (فصلت) .

وقد زيَّن هؤلاء الشياطين باسم الدين أمر الشرك والدعوة إليه ، فرفعوا شعاراً ينادي فيه في مثل هذا الزمان : «إن حب الوطن من الإيمان» ، وهذا يتضمن إدخاله في أبواب الإيمان وشعبه ، وهو من الفرية في الدين والتقول على الله بغير علم ، قال تعالى : ﴿**وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** (٣٣)﴾ (الأعراف) .

وشعب الإيمان بضع وسبعون شعبة كما قال نبينا ﷺ ، أفضلها قول لا إله

إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وهي مفصَّلة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وليس فيها ما جاء به هؤلاء من الأكاذيب والدعاوى والأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان . بل الأظهر في ذلك هو وصفها بأنها شعبة من شعب الكفر ، سيما إذا ضاهت هذه الصورة من المحبة محبة الله عز وجل ودينه ، فأصبحت مترسخة في نفوس أهلها وأصحابها ، وصار الانتماء لهذه الوحدة يفوق انتماء المسلم لدينه ، والمساس بها جرم لا يغتفر ، والولاء للوطن أمر لا يختلف عليه اثنان ، فحينئذ يتحقق وصفها بأنها شعبة من شعب الكفر ، بل هي أصل الكفر . يقول ابن القيم : «وأصل الشرك بالله : الإشراك في المحبة»أهـ .

فكيف يصفها من يصفها من أهل الدجل بأنها من شعب الإيمان وأنها من الإيمان ، هذا أولاً .

ثانياً : أن ما يصدر منهم بلسان مقالهم على خلاف ذلك ونفيه لا عبرة له ، وذلك أن لسان الحال أبلغ من لسان المقال .

ثالثاً : أن ما يقال عن هؤلاء وحالهم ليس هو مما يفترى به عليهم ، بل هو واقعهم مع هذه الوحدة الوثنية ، وهذه كلماتهم التي أشبعوا الناس من سماعها ، وملأوا بها الصحف والطرقات ، وجمعوا عليها الجموع ، ونادوا بها ، وعظموا أمرها ، وأرهبوا من خالفها ، أو من لم ينادِ بها ، بل وضعوا على ذلك القوانين لتجريم من أراد أن ينتقص هذه الوحدة ، فأي ردة فوق هذه الردة ، وأي مفارقة لملة الأنبياء أعظم من هذه المفارقة ، وأي مشاقة لسبيل المؤمنين أعظم من هذه المشاقة ، قال تعالى : ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** (١١٥)﴾ (النساء) .

وقد طغت هذه المشاقة عند من يتلاعب بالدين باسم الدين في تزيينهم هذه الجاهلية لأهلها بإعطائهم الصبغة الشرعية لتلك الأعياد التي أقاموها ابتهاجاً بهذه الوثنية وهذه الوحدة ، وغيروا أسماء الأشياء عن حقائقها لتغيير الحكم الشرعي المستلزم على هؤلاء . . من دخولهم في دين المشركين ، ومشابهتهم لهم ، وابتداعهم تلك الأعياد الوثنية التي تعلو بفرحتها عندهم أعياد الإسلام ، فسلبوا مسمى العيد عنها الذي لطالما أزعجوا به مخالفيهم من المحتفلين منهم بالموالد النبوية وغيرها ، وأسموا تلك الأعياد بالأيام ، أو اليوم الوطني ، وما شابه ذلك ، حتى لا يترتب عليها وصفها بأعياد جاهلية بدعية وثنية وهذا فيه من الخباثة والتلبيس والتدليس والتلاعب بالدين ما فيه ، بل فيه من الوقاحة ما لم يتجرأ عليه من هم أهل تلك الأعياد ، إذ كيف يريد هؤلاء المجرمون سلب وتغيير مسمى حقيقي قد ثبت بالشرع ، والعرف ، والعقل ، والواقع ، حتى عند أهل الجاهلية من أصحاب هذه الأعياد الذين اعتادوا على الاحتفال بها ، وتسميتها بذلك ، وعدم الرضى بغير هذا المسمى .

يقول ابن القيم : «وأما العيد : ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان» .أ .هـ .(١)

وما ذلك إلا لأنهم «يريدونها عوجاً» .

يريدون الجمع ما بين دين المرسلين ودين الوثنيين ، وملة الأنبياء والحنفاء وملة الشياطين والسفهاء ، تحت مظلة الوحدة الوثنية ، حاملين لواء وشعار «منهاج السلف» .

(١) إغاثة اللهفان ص ١٩٦ .

بل زاد أمر المشاقة والوقاحة ـ عندهم ـ بأن كتبوا في صحيفة واحدة ، في مقام واحد ، في مقال واحد ، بدعية الاحتفال بالمولد النبوي والتحذير منه ، ومشروعية الاحتفال بالعيد الوطني . (فأعطوا الاحتفال بالمولد الصبغة البدعية) ، (وأعطوا الاحتفال بالعيد الوطني الصبغة الشرعية) .(١)

مع العلم أن أصحاب المولد هؤلاء لا يطلقون مسمى العيد على يومهم واحتفالهم هذا (وإن كان الاسم يتضمنهم) بخلاف أصحاب الوطنية الذين يسمونه بذلك ، ولا يرضون بغيره اسماً ووصفاً .

فهو ـ إذاً ـ تلاعب بالدين ، وتحريف لأحكامه ، وتغيير لمسميات الأشياء عن حقائقها . يقول ابن القيم : «إن باب الحيل المحرمة مداره على تسمية الشيء بغير اسمه ، وعلى تغيير صورته مع بقاء حقيقته ، فمداره على تغيير الاسم مع بقاء المسمى ، وتغيير الصورة مع بقاء الحقيقة» .أهـ .

وقال رحمه الله : «فالله سبحانه إنما حرم هذه المحرمات وغيرها لما اشتملت عليه من المفاسد المضرة بالدنيا والدين ، ولم يحرمها لأجل أسمائها وصورها . ومعلوم أن تلك المفاسد تابعة لحقائقها . لا تزول بتبديل أسمائها وتغيير صورها ، ولو زالت تلك المفاسد بتغير الصورة والأسماء لما لعن الله سبحانه اليهود على تغيير صورة الشحم واسمه بإذابته ، حتى استحدث اسم الودك وصورته ثم أكلوا ثمنه ، وقالوا : لم نأكله ، وكذلك تغيير صورة الصيد يوم السبت بالصيد يوم الأحد . فتغيير صورة المحرمات وأسمائها مع بقاء مقاصدها وحقائقها زيادة في المفسدة التي حرمت لأجلها ، مع تضمنه لمخادعة الله تعالى ورسوله ، ونسبة المكر

(١) وأرجو المعذرة من عدم استذكار تاريخ هذا المقال وعدد المطبوع الذي كتب منذ فترة ومدة (في صحيفة عكاظ ، أو الرياض ، أو الوطن) .

والخداع والغش والنفاق إلى شرعه ودينه ، وأنه يحرم الشيء لمفسدة ، ويبيعه لأعظم منها ، ولهذا قال أيوب السختياني : «يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان . لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون» . وقال رسول الله ﷺ : «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»أهـ .

وقال ـ رحمه الله ـ عند قوله ﷺ : «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير» .

قال : «فالقوم الذين يخسف بهم ويمسخون ، إنما فعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم بطريق الحيلة ، وأعرضوا عن مقصود (الله) وحكمته في تحريم هذه الأشياء . ولذلك مسخوا قردة وخنازير كما مسخ أصحاب السبت بما تأولوا من التأويل الفاسد» .أهـ(١)

(١) إغاثة اللهفان ص ٣٤٨ .

فصل
في كلام أهل العلم
في أحكام الديار

يقول ابن القيم رحمه الله : (قال الجمهور : دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام ، وما لم تجر عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام ، وإن لاصقها)أهـ .(١)

ويقول الكساني رحمه الله : (إن كل دار مضافة إما إلى الإسلام أو إلى الكفر ، وإنما تضاف الدار إلى الإسلام إذا طبقت فيها أحكامه وتضاف إلى الكفر إذا طبقت فيها أحكامه)أهـ .(٢)

ويقول القاضي أبو يعلى الحنبلي رحمه الله : (كل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دونه أحكام الإسلام فهي دار الكفرة)أهـ .(٣)

ويقول ابن مفلح رحمه الله ـ فيما نُقل عنه ـ عن علماء الدعوة النجدية : (وأما البلد التي يحكم عليها بأنها بلد كفَر ، فقال ابن مفلح : وكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار إسلام ، وإن غلب عليها أحكام الكفر فدار كفر ولا دار غيرهما)أهـ .(٤)

ويقول علامة نجد الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان ما

---

(١) أحكام أهل الذمة ١/ ١٦٦ .

(٢) بدائع الصنائع (٩/ ٤٣٧٥) .

(٣) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ص ٢٧٦ .

(٤) الدرر السنية ٧/ ٣٥٣ .

إذا تغلَّب الكفار على دار الإسلام وأجروا فيها أحكام الكفر . قال رحمه الله :

إذا مـــا تولى كـــافـــر مـــتـــغلب
عـلى دار إســـلام وحـلَّ بـهـــا الوجـل
وأجــرى بـهـا أحكام كــفـر عــلانيــاً
وأظهــرها فــيــهــا جــهــاراً بلا مــهـل
وأوهى بـهـا أحكام شــرع مــحــمــد
ولـم يظهـر الإسـلام فـيـهـا وينتـحـل
فـــذي دار كـــفـــر عند كل مـحـــقق
كـــمـــا قــالـه أهل الدراية بالنحل
ومـا كل من فــيــهـا يقــال بكفــره
فـرب امـرئ فـيـهم علـى صـالح العـمل(١)

(١) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان ، ص ١٢٦ .

فصل
في بيان من هم أولي الأمر
المتوجب على المسلم طاعتهم

لا شك ولا ريب أن السمع والطاعة لولي الأمر واجبة ، ولا يجوز ترك هذه الطاعة مهما جاء به ولي الأمر من الكبائر العظام إلا أن يُرى منه كفراً بواحاً كما جاء في الحديث الصحيح . وهذا قيد وشرط .

ومن الكفر البواح ترك الصلاة . كما جاء في الحديث : «أفلا ننابذهم ، قال ﷺ : «لا ما أقاموا الصلاة» ، وفي رواية «لا ما صلّوا» .(١)

ومن الكفر البواح أن يقود الراعي رعيته بغير كتاب الله عزَّ وجلَّ . ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الترمذي وأحمد وغيرهم : «يا أيها الناس اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا وإن أمِّر عليكم عبد حبشي مجدع ما أقام فيكم كتاب الله عز وجل»(٢) .

وقال ﷺ أيضاً في الحديث الصحيح الذي يرويه ابن ماجه ومسلم : «وإن أمِّر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما قادكم بكتاب الله» .(٣)

وهذا قيد وشرط لوجوب الطاعة هنا : أي أن الحاكم ما دام أنه يقود رعيته بكتاب الله فإنه يُسمع له ويُطاع . أما إن قادهم بحكم الطاغوت فلا سمع له ولا طاعة ، بل يكون بذلك طاغوتاً يجب الكفر به .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذي وأحمد بإسناد صحيح .
(٣) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، ورواه مسلم أيضاً .

يقول العلامة الشوكاني رحمه الله في تفسيره «وأولي الأمر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت ولايته شرعية لا ولاية طاغوتية»أ .هـ .(١)

فالذي يحكم رعيته بالشرع هو من ولايته تكون شرعية ، والذي يحكم رعيته بالطاغوت هو من ولايته تكون طاغوتية .

يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم عند ذكره للحديث السابق : «فأمر ﷺ بطاعة ولي الأمر ولو كان بهذه الخساسة ما دام يقودنا بكتاب الله» .

فجعل النبي ﷺ الرابط ما بين الراعي والرعية «كتاب الله» والحكم بما فيه ، فمتى انقطع هذا الرابط انقطع حبل الإسلام فلا يتوجب على الرعية أن يسمعوا له ويطيعوا ، ومتى ذهب حق الحكم بالكتاب ذهب حق السمع والطاعة . بل إن رابط الحكم بكتاب الله أقوى من رابط الصلاة من جهة أن الأول يشمل الطرفين الحاكم والمحكوم فهو عبادة بفعل كل منهما .

والحديث المتقدم في شرط الصلاة دليل محكم وقوي على كفر تارك الصلاة ، لأن النبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة ما لم ير كفراً بواحاً وجعل عدم إقامة الصلاة من الكفر البواح لأنه قيد هذا الأمر بإقامة الصلاة . فجعل أمر السمع والطاعة واجباً مهماً جاء به ولي الأمر من الكبائر العظام وتركه للفرائض العظيمةالمتعلقة بالدين إلا أن يرى منه الكفر البواح والتي منها عدم إقامة الصلاة «قالوا : أفلا ننباذهم؟ قال : لا ما صلوا» .

الأمر الثاني : أن يكون هذا الحاكم مُوَلّى من قِبَل الإمام العام (الذي هو الخليفة) أو من قِبَل من ولاّه الخليفة ولاية من الولايَات العامة على المسلمين ،

(١) فتح القدير ١/ ٤٨١ .

وذلك أن الطاعة لمخلوق لا تكون إلا ببرهان يقيني وسلطان نصي يأمر المسلم بذلك لا أمر ظني اجتهادي . والسلطان في ذلك قوله ﷺ : «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني**» (رواه البخاري) .

والخلفاء بمنزلة الأنبياء بعد وفاتهم في قيادة الأمة . ودليل ذلك قوله ﷺ : «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وستكون خلفاء تكثر» . قالوا : فما تأمرنا . قال : «فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**» (رواه البخاري) .

والبيعة الشرعية لا تكون إلا للخليفة . فالخليفة «الذي هو الإمام العام» هو فقط من له حق البيعة . أما غيره من الأمراء الذين وُلُّوا من قبل الخليفة فليس لهم حق البيعة وإنما لهم فقط حق السمع والطاعة . هذا إن كانوا ـ كما تقدم ـ قد وُلُّوا من قبل الإمام . وإلا فليس لهم حتى حق السمع والطاعة .